

# التحدي

قبل الله لكان باطلاً، والله لا يدافع عن الباطل، ولا يتستر على الذين ينسبون إليه ما لم يصدر منه، بل عليه أن يفضحهم.

٤ - إلى جانب: أن أروع الكلام الذي صدر من البشر، ليس دون القرآن بدرجة أو بدرجات، حتى يبقى وقع للقول بأن الله يحجب البشر عن الوصول إلى مستوى القرآن وإنما تختلف النوعية تماماً.

٥ - إن الله ليس محدود المدى، حتى يتحدى البشر بما في طاقته، ثم يمنع عن الإتيان بمثله، وإنما مدها مطلق وغير محدود. مضافاً إلى ما سبق، من: أن كل ما خلقه الله فوق طاقة البشر، وليس القرآن وحده.

٦ - إن محاولة تحدي القرآن بدأت مع بدء نزوله، فالتبني طرحه أول ما طرحه معجزة ودستورا.

٧ - المؤمن يحاول تحدي القرآن، عندما يريد التأكد من صدق إيمانه، وغير المؤمن يهجم تحدي القرآن، كجزء من الحرب المستمرة الشواء ضد الإسلام.

٨ - القرآن ليس معجزة واحدة فحسب، وإنما هو موسوعة معجزات (هاجتماعياته معجزة لعلماء الاجتماع، وسياسياته معجزة للسياسيين، وأخلاقياته معجزة للأخلاقيين، وعسكرياته معجزة للعسكريين، واقتصادياته معجزة للاقتصاديين، وتربوياته معجزة للتربويين، وأدائه معجزة للأدباء.... ولكل اختصاصي معجزة في اختصاصه، فهو يفهم جانب اختصاصه أكثر من بقية جوانبه. بل إن القرآن معجزة لكل إنسان، في الجانب المنسجم مع بعثه الخلائق، أوليست) الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق (١٩) فهو معجزة للناس أجمعين.

٩ - القرآن ليس كتاباً يؤخذ، ويستوعب، لأنه تناول مواضيع من خارج ثقافة البشر، وخارج محيط فكر البشر، من المعنويات والروحانيات وفلسفة الماديات.

١٠ - وأخيراً ليس القرآن مجرد معجزة خاتم النبيين، وإنما هو في الوقت ذاته معجزة لخاتم النبيين، فهو يدل على أن من هبط على قلبه خبر من اتصل بالسماء، لأنه أكرم بحمل أكبر الهدايا إلى الأرض. أوليس هو (الطفل الأكبر)، الذي من أجله ضحى كلا المعصومين (عليهم السلام) ١٩.

فالمسلمون رغم تطور ثقافتهم عبر تاريخ القرآن، ورغم أنهم طالما تورطوا في أخطاء كبيرة وكثيرة، إلا أنهم لم يصطدموا بالقرآن، في أي وقت من الأوقات، حتى من خلال أخطائهم، فما عانوا من اصطدام ثقافتهم بكتابتهم، شيئاً مما عاناه: اليهود، والتصارى، وبقية أهل الكتاب، من اصطدام ثقافتهم بكتابتهم. وخاصة، في القرون الأخيرة، حيث كشفت قفزة العلوم أخطاء عديدة في الكتب المقدسة، فاضطر المثقفون إلى التحيز للعلم والاتجاه نحو الإلحاد، واضطر المتدينون إلى تعطيل العقل وتجميد العلم في مجال الإيمان. فإله الذي يعرف مدى مستويات جميع الأجيال البشرية، خلق كلاماً فوق تلك المستويات، ومن مصير القوة والأطمئنان قال (...): فاتوا بسورة من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله، إن كنتم صادقين (، وهذا... ليس شيئاً جديداً في القرآن، طالما هو من خلق الله. فالإنسان عاجز عن تحدي أي شيء من خلق الله. وقد تحدى القرآن البشرية الجاحدة، في كل ما خلق الله، فعجزت عن رد تحديه، قالوا: [هذا... خلق الله، فأروني ماذا خلق الذين من دونه.... فعجزت أن تأتي بمثل شيء من خلق الله. وإن كان وقع التحدي في الكلام أعمق من وقوعه فيما أنشأه الله من العدم، مهما صغر ونضال، لأن الناس يتكلمون بسهولة، وفيهم علماء يتكلمون في: العلم، والبلاغة، والشريعة، والموسيقى، وغيرها.... مما يتوقع أن تكون عناصر إعجاز القرآن، ثم يعجزون عن الإتيان بسطر مما يشبه القرآن، وإن كان قصيراً بمقدار سورة (الكوثر)، فيشعرون بوقع هذا التحدي، وبمرارة هذا العجز.

## الدلالات

١ - مهما كان السبب، فتحدى القرآن جميع النوايا، مع وجود الحواجز الحيوية الملحة باستمرار لرد تحديه، وعدم رده، يكشف أنه من قبل الله، وليس من صياغة أحد البشر.

٢ - إن ادعاء أن الله يصرف الأفكار عن الإتيان بمثله، يؤكد كونه من قبله، لأن الله لا يتطوع لصرف الأفكار عن رد تحديات المتحدين.

٣ - إن القرآن لو لم يكن من

إوان كنتم في ريب مما نزلنا على عبيدنا، فاتوا بسوة من مثله وادعوا شهودهم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا وإن تفعلوا فاتقوا النار، التي وقوتها الناس والحجارة أعدت للكافرين. سورة البقرة، ٢٤، ٢٣.

معروف أن الإنسان يتحدى في حدود معينة، فيدعي أنه يفوق الماضي، لأنهم توقعوا عن العطاء، ويتحدى المعاصرين، لأنه يعرف مدهم. ولكنه لا يتحدى المطلق وإن حشد مواهب الأرض، ولف الفضاء بنظراته، لأنه لا يعرف مدى المستقبل. والقرآن حيث تحدى البشر على مدى الحياة، عن اطمئنائه إلى أنه فوق مستوى البشر، طالما المستقبل مفتوح للمعاجزة، وطالما تفتق المواهب في كل فترة. عما لم يكن متوقفاً قبلها. ومحاولة تحدي القرآن، كانت يوم ترمطت شفاه النبي بأياته، وهي تنزل مع الأشعة الكونية لتخصب القلوب الحجرية بنور الإيمان، وتعد من عسراء الحجاز ظلال القيادة العالمية على كثير من بقاع الأرض. وبقي التحدي مستمرا عبر الأجيال، فقد حاول الكثيرون ممن جهلوا القرآن أن يأتوا بمثله، وحيث درسوه لياتوا بمثله، اصطدموا بما لا قبل لهم به، فأعلنوا عجزهم عن تحديه، وأخر من عرفنا دخولهم في هذه التجربة الفاشلة، لجنة من الأدباء، فيها جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة... ولعل السبب في عجز الناس عن تحدي القرآن، أنه مزيج مركب من مجموعة عناصر، لا يمكن لأية مجموعة من البشر أن تجمعها؛ فبالإضافة إلى عنصر البلاغة، فيه التفوق التشريعي، والنكات العلمية، والروعة الموسيقية، والمعادلة المناسبة للكلام الصادر من الله إلى عباده، وعناصر أخرى كثيرة... حفل بها القرآن. ومع تقدم البشرية في كل حقبة من الزمان يزاح ستار عن عنصر جديد من عجائبه، ولعل من تلك العناصر: أن القرآن لا يطرح نفسه على الساحة، طرحاً مكشوفاً، يمكن الناس من نقده وتجريحه. فهو يتناول كل المواضيع، ولكن يتدر معين، ثم يتركها. ويتعمق في كل ما يتناول، ولكن لا يتوسع، وعندما يأتي من يحاول انتفاده، لا يجد فيه مأخذ يمكن التمسك بها للتشهير به.